

الصوت ودلالته في قصيدة "أغنية الأحرار" - قراءة أسلوبية

Sound and its meaning in the poem "Song of Sorrows" - a stylistic reading

الأحمر الحاج

جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس (الجزائر)

elhadjelahmar2222@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/12/09

تاريخ الاستلام: 2024/09/20

ملخص:

حاولنا الوقوف عند نص الشابي الذي له ذاك الميل الحزين انطلاقاً من أصواته المختلفة، من هنا كان تعاملنا مع النص الشابي تعاملًا فيه نوع من الحذر لأننا أمام نص يميل أحياناً نحو الغموض، فوقفنا عند بعض ظواهره الأسلوبية التي مست الصوت، هذه الأصوات التي كانت تنبعث من تجربة الشابي المليئة أحياناً إلى القوة وأحياناً إلى الضعف، لهذا اخترنا هذه القراءة الأسلوبية لأنها تستطيع فك شفرات النص واستنطاقه وملامسة المسكوت عنه، وإخراجه في ثوب يتماشى مع طبيعة التجربة الشابية التي من جهة أخرى توحى لنا بالمجتمع التونسي الفاقد لحرية آنذاك.

الكلمات المفتاحية: النص، الشابي، التجربة، الأسلوبية، الشفرة.

Abstract:

We tried to stop at the text of Al-Shabbi, which has that sad tendency based on its different voices. Hence, our dealing with the text of Al-Shabbi was a kind of cautious dealing because we are faced with a text that sometimes tends towards ambiguity. We stopped at some of its stylistic phenomena that touched the voice, these voices that were emanating from Al-Shabbi's experience that sometimes tends towards strength and sometimes towards weakness. For this reason, we chose this stylistic reading because it can decipher the text's codes, interrogate it, touch upon what is unspoken, and bring it out in a garment that is consistent with the nature of the Al-Shabbi experience, which on the other hand suggests to us the Tunisian society that lost its freedom at that time.

Keywords: Text, Al-shabbi, experiment, stylistics, code.

1. مقدمة:

أغنية الأحران للشاعر الروماني - الصوت فيها يعلو عن كل شيء ليوحى لنا بتلك العاطفة الميالة إلى الحزن المستمدة معانيها من الطبيعة ومعاناته. من هنا حاولنا ملامسة هذا النص الذي شكّل الحزن فيه محطة تترجم معاناة الشاعر من خلال اختياراته لأصوات لها تأثير على القارئ على مستوى تعامله مع لغة لها قوة تجعل منه - القارئ - يتعامل معها بكلّ أريحية يغوص فيها مرة فيفرح مرة ويحزن مرّات، كان لنا الوقوف على هذه الأصوات التي لها أكثر من دلالة على مستوى ظواهرها الأسلوبية.

2. القراءة الدلالية والإيحائية للصّومات:

تجانست الصّومات لتشكّل لنا قالباً شعرياً يعجّ بالإيحاءات والأفكار التي أراد الشاعر أن يوصلها للقارئ سواء بالقصد أو بغير قصد.

والسّواكن الصّومات - «هو النّطق عن طريق عضو أو أعضاء بطريقة تعوق تيار الهواء وتسبّب احتكاكاً مسموعاً»¹.

إنّ الصّوت اللّغوي الذي نستعمله في حياتنا التواصلية هو أثر سمعي حاصل من احتكاك الهواء بنقطة ما من نقاط الجهاز الصوتي عندما يحدث في هذه النقطة انسداد كامل أو ناقص يمنع الهواء الخارج من الجوف من حرية المرور، ويحدث الانسداد التام عند النطق ببعض الأصوات مثل: الباء، التاء، الكاف، القاف، قسّمها اللّغويون أصواتاً شديدة أو انفجارية أو وقفية، ويحدث انسداد جزئي عند النطق ببعضها الآخر مثل: السين، الزاي، العين، فسمي اللّغويون بعضها رخوا والبعض الآخر بين الشدّة والرخاوة. تشكلت لنا هذه المجموعة من الأصوات في قصيدة أبي القاسم الشابي عندما فاقت كمية الغضب الشعر، وفاقت كمية الأحران معنى القصائد التي كتبها الشابي، لم تكن سوى تصوير حيّ لمشاعر إنسان أحبّ الحياة ولم تعطه إلا القليل كي يواصل مسيرته في الحياة.

للحس الدرامي في شعر أبي القاسم الشابي مرجعيات وأسباب اجتماعية وسياسية، نفسية الذاتية ومنها موت والده، ولقد تحدث الشاعر عن هذه الظاهرة في عديد من قصائده منها: "إلى الموت"، وغيرها، أما النفسية فلربما كان مرضه هو العلة أو قسوة الحياة عليه.

فهي كلمات وردت لتدلّ على مدى عمق جراح وحزن الشاعر الروماني، وجاءت تدلّ على ملامح الطبيعة، إنما ليفيد البروز وهذا إلى جانب أنّ الشابي شاعر فيلجأ إلى الطبيعة وإلى الغاب.

أمّا الحروف الشفوية فجاءت في المجموعة الثالثة بعدد بلغ 108 مرّة أي بنسبة 13,28%، تصدر هذه المجموعة صوت الميم بعد تكرّر بلغ 46 مرّة أي بنسبة 5,43% من إجمالي الأصوات، ثم تلاه صوت الباء بـ 36 مرّة أي بنسبة 4,25% ثم آخرها صوت الفاء بعدد تكرر بنسبة 3,06%، أما صوت الواو لم يأتي كصوت بناء إنما جاء للمدّ.

1.2. الميم:

تنطبق الشفتان انطباقاً تاماً عند النطق بصوت الميم فيقف الهواء أي يحبس حبساً تاماً في الفم، وينخفض الحنك اللين، فيتمكّن الهواء الصاعد من الرئتين من المرور عن طريق الأنف بسبب ما يعترضه من ضغط، وتتذبذب الأوتار الصوتية عند التّلق به.

وهو «يدلّ على الانقطاع والاستئصال، في أكثر أحواله إذا كان في آخر الكلمة»².

يقول أبو القاسم الشابي:

عَنِّي نُدْبُ الْأُمَامِي الْحَائِيَةِ³

تزاوج حرف الميم مع الصائت الطويل "الف" ليدل على الاستطالة والتنفس وعلى الانفتاح والرقّة لكنها أفرغت من معناها نوعاً ما داخل السياق المستعمل فيه.

فتجلت في قصيدته "أغنية الأحران" واجتمعت هذه العوامل لتكون شخصية الشابي ولتضفي على شعره طابعاً خاصاً به، وقد ترجم معاناته، فرحة، وأحلامه بشعر تجلّت فيه أحاسيس متنوّعة منها الإحساس بالكآبة والضعف والحزن، وهذا ما نلمسه في القصيدة التي بين أيدينا، وهكذا تبرز الكآبة والأحزان في قصائد الشاعر والتي تلونها السّامة لترسم لنا أشعاراً رائعة التي نلمح من خلالها التّنهيدات التي تسمع من خلال صوت الصراخ والآلام. هناك مناسبة بين الصوت والمعنى، أي أنّ كلّ صوت من الأصوات الهجائية يناسب حالة من الحالات لا يكاد يخالفها في شيء، يستطيع القارئ معرفة ما توحى به من خلال نطقها.

إنّ اللّغة بما تحمله أصواتها من نغم، لها علاقة بالتيار الشعوري والنفسي لأنّ «الإبداع الموسيقي قائم على الأساس النفسي الذي يوحد الإحساس والشكل في جميع صورته، النابع من تآلف الأصوات وانسجام الحركات، وفق مثيرات خاصة، تخضع في الأساس لقواعد الحياة في وقع حركاتها واتحاد أشكالها»⁴.

وهنا تظهر علاقة الجانب النفسي للشاعر المبدع بالصوت اللّغوي.

تفجرت مشاعر الشابي في شكل قصيدة ليعبر عن مدى معاناة الشعب التونسي عامّة ومعاناته الداخلية بشكل خاص، ورصد مدى غضبه وحزنه في نفس الوقت، هذه الأحزان التي تنبع من الإحساس بالألم الذي يعبر عن المأساة الحقيقية وكأنّ الشاعر يحسّ بالضيق والتمزق.

امتزجت حياة الشابي بين الأحزان والأفراح لتصبّ في قوالب شعرية فنية رائعة أصبح يسمى بالزمن الإبداعي، لأنه لا ينبع إلّا من نفسه، ولا يفعل إلّا بطبيعة التجربة وطزاجة اللّغة.

هيمنت الأصوات الذلقية، حيث وصل ترددها إلى سبعة وتسعين ومائتان مرّة (297 مرة) أي بنسبة تقدّر بـ 35,77% من إجمالي أصوات النص، بعدها بلغ اللام بـ 190 مرة، ثم صوت الباء بـ 77 مرة، ثم صوت النون الذي بلغ 62 مرة.

أدى الصوت داخل النص دورا مهما:

2.2. اللام:

وصف سيبويه اللام: «بأنه حرف شديد فهو وقفة انفجارية حيث يقف الهواء عند موضع النطق بها، ويخرج حرا طليقا من مستدق اللسان أي من جانبيه معا»⁵.

فاللام "يخرج من أحد جانبي الفم، أو من كليهما، وعند النطق به ينغلق الوتران الصوتيان انغلاقا تاماً. وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «أن اللام تعين الدرع»⁶.

ونرى في قول الخليل أو اللام توحى بالدرع أي لربما لتدل كذلك على الحماية والأمان والسكينة. ونجد الشاعر يقول من نفس الديوان:

عَنِّي أَنشُودَةُ الْفَجْرِ الضَّحُوكُ

فلقد جرعني صوتُ الظَّلامِ

المَا عَلَّمَنِي كُرْهُ الْحَيَاةِ

إِنَّ قَلْبِي مَلَّ أَصْدَاءَ النَّوْخِ

عَنِّي، يا صاح !

إنّ كلمة "الفجر الضحك" جاءت في صدر القصيدة لتدل على أنّ الشاعر كان يعيش في أمان واستقرار قبل أن تصبّ عليه المآسي والأحزان، فهي أيام جميلة مليئة بالأفراح والسرور لكن وللأسف هذه الفرحة لم تدم طويلا وسرعان ما فقد استقراره في هذه الحياة.

تراوحت الكلمات بين دلالتها على الدمار وفقدان الأمل من هذه الدنيا في قوله: (النواح، الليالي السود، الاكتئاب، الجراح، المنون، الهموم)، فهذه الكلمات تدلّ على اليأس والكآبة فكلها أحاسيس عاشها الشاعر.

جاءت كأداة تعريف في نهاية كل مقطع من مقاطع القصيدة، وبما أنّ اللام صوت انخراطي فقد عرفت معه مشاعر الشابي في قوله: (الضحك، الصداح، الظلام، الحياة، النواح، الأحكام، الغرام، الداويه، الاكتئاب، الغريد، العصفور، الأسى، الفؤاد، الأوتار...).

ينشد الشابي هذه القصيدة بالتعبير عن مشاعره ويقول أنّه ملّ أصدااء النواح والحزن والألم، فهو يبحث عن بصيص أمل من أجل الغناء والفرح ثم يعود ويستسلم لهذا الألم ليقول: كفّ عن تلك الأغاني الباسمة لأنّ حياته قد تعوّدت على الأحزان فإنّ مشاعر الشابي عرفت صعودا في بداية مقاطع القصيدة ثم عرفت هبوطا في الأحاسيس واستسلام للحياة وما ملأته من أحزان فهو قد تعوّد على هذه الحياة التعيسة.

3.2. الرّاء:

الرّاء هو صوت التكرار فقد اضطرب اللغويون العرب في وصفه من حيث كيفية مرور الهواء، وهو يفيد المرونة والحيوية والحركة وكأن نصيب هذه الحروف في قوافي الشعر العربي أوفر من حرف آخر خاصّة منها التي تصف الحروب والمعارك.

وهذا ما التمسناه في دلالة الصوت في القصيدة ومثل ذلك قوله من نفس الديوان:

فلقد جرّعني صوت الظّلام

المأ علمّني كُزّه الحياّة

بين أزهار الخريفِ الداوية

فالكلمات (جرّعني، كره، أزهار الخريف)، كلّها ألفاظ تدلّ على ديمومة الحزن الذي يحوم على حياة الشاعر، فهذه المشاعر تعرف حركة مستمرة عند الشابي وهكذا سيشتغل على قلبه المريض جسداً وروحاً فكلما عاني من الأوجاع والآلام فإنّ روحه كانت مهيمنة للإبداع فنجدته يقول أيضاً من نفس الديوان:

لا تُغنني أغاريد الصّباح

تلبل الأفرّاح !

ففؤادي وهو مغمور الجراح

بتباريح الحياة الباكية

ليس تستهويه ألحان السرور

وأعاني النور

أفادت كلمات: (أغاريد، مغمور، الأفرّاح، الجراح، تباريح) إن دلت هذه الكلمات على شيء إنّما تدلّ على مدى عمق حزن وألم الشاعر الذين يحيطان به، فهي صرخة من صرخات نفسه المملوءة بالأحزان، فهي كلمات تحرّك المشاعر وتذوب الفؤاد، ولا يمكن أن نفهم أنّ الشاعر لا يجذب الغناء والفرح وإنما هو بعيد كلّ البعد عن الفرح، فكيف لقلب مجروح أن يعرف ذوق السعادة والسرور.

4.2. النون:

هو صوت يفيد الظهور والبروز ومثال ذلك قوله: (غني، أنشودة، علمني، الأغاني)، فنجد أنّ الشاعر قد أكثر من استعمال حرف النون في القصيدة والذي تكرر بأكثر من 62 مرة.

أفادت النون في هذه العبارات معنى الظهور وإبراز الوجود في هذه الحياة، ومما قد يلفت انتباه القارئ في القصيدة هو تكرار لفظي "غني" بـ 05 مرات.

إنّ الشاعر يبحث عن الحركة والبهجة التي قد نسي ملامحها، فالغناء يدلّ على مدى سرور وفرحة صاحبه وذلك ما يدلّه حرف النون من رنين واهتزاز من معاني كلمة "غني".

ثم يقول الشابي من نفس الديوان:

إِنَّ مِنْ أَصْعَى إِلَى صَوْتِ الْمُتُونِ
وَصَدَى الْأَجْدَاثِ
لَيْسَ تَسْتَهْوِيهِ أَلْحَانُ الطُّيُورِ

ثم يقول من نفس الديوان:

غَنِي يَا صَاح... أَنَا تِ الْجَحِيمِ
وَاسْقِنِي الْآلَامَ
وَاسْقِنِي إِنِّي كَرِهْتُ الْإِتْسَامَ
غَنِي نَدْبَ الْأَمَانِي الْخَائِبَةِ

أفادت النون في "إِنَّ" التوكيد والشدة ودلالة على القوة، كما أنّها وردت مصاحبة مع الصوائت الطويلة والقصيرة في (أنا، اسقني، غني، إني، الأمان)، وذلك لتدلّ على استطالة الألم، وذلك لما يثيره صوت النون الرنان في النفس من مشاعر الحنين والألم الدفين في قلب شاعر حيّ غير أنّ المآسي غمرته من كل الجوانب إلى درجة الامتلاء، لتأتي القصيدة في هذا الطابع الحزين والذي يرافقه اليأس وفقدان الأمل.

جاءت الأصوات الحلقية في المجموعة الثانية حسب النسبة والترتيب بنسبة بلغت 2,72% من إجمالي أصوات النص، وبتكرار بلغ 170 مرة.

5.2. الحاء:

يضيق المجرى الهوائي في الفراغ الحلقى عند النطق به، بحيث يحدث مرور الهواء احتكاكا، ولا تنذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به، فالحاء صوت حلقى احتكاكي مهموس. فنجد الشابي يقول في أبيات قصيدته من نفس الديوان:

لَا تُغْنِي أَغَارِيدَ الصَّبَاحِ
بُلْبُلُ الْأَفْرَاحِ
فَقُودِي، وَهُوَ مَعْمُورُ الْجِرَاحِ
بِتَبَارِيحِ الْحَيَاةِ الْبَاكِئَةِ

جاء حرف الحاء في أواخر الكلمات: (الأفراح، الجراح)، ليدل على مشاعر الشابي وما يتعلق منها بالرقّة والصفاء، فقد حوى قلبه الخافق بمعاني الحب والجمالي، ثم يقول:

بِئْسَتِ الْأَفْرَاحُ، أَفْرَاحُ الْحَيَاةِ
إِنَّهَا أَحْلَامُ
تَخْلِبُ اللَّبَّ بِالْحَنِّ عَذَابُ

نجد الشابي يكرر كلمة "الأفراح" والتكرار يدلّ على الإسرار، لأنّ الأفراح باتت مجرد أحلام فهي غير ملموسة ولن تتحقق إنّها صرخات شاب أكل الدهر عليه وشرب، كما أنّها تدلّ على الشدة والقوة.

ثمّ نجده يقول من نفس الديوان:

ها أنا أستمع في قلب الحياة

صبيحة الآلام

مرة تنساب من قلب حطيم

ويبدل حرف الحاء في الكلمات: (الحياة، صبيحة، حطيم)، تدلّ على الشدة في قوله "حطيم" يدل على التعاسة، فجاءت هذه الكلمات لتدل على مدى يأس الشاعر ومعاناته، إلى جانب التعاسة التي يشعر بها الشابي وقلبه المليء بالمآسي والأحزان، وكلمة "الحياة" تدلّ على الرقة والجمال فهي حاء مرققة.

6.2. العين:

صوت من وسط الحلق، مجهور، متوسط، منفتح، منخفض مصمت، بلغ عدد تكرره 13 مرة.

دلّ هذا الصوت في أغلب سياقاته على الشدة وقوة النفس المتألّمة.

وصوت العين يتشكل يتقبض مخرجه في أول الحلق ومن ثم بتجميع ذبذبات النفس في بؤرة هذه الحلقة، وهكذا لا بد لصوته النقي الناصع أن يوحى بالفعالية والإشراق والظهور والسمو، فنجده يقول من نفس الديوان:

فلقد جرعتني صوت الظلام

ألمّا علّمني كُزه الحياة

جاء حرف العين في كلا من: (جرعتني، علمني)، لتدلّ على الشدة وامتلاء هذا القلب بالظلام ودلالة

على القوة في نفس الشاعر، هذه القوة التي امتزجت بالآلام التي مزقت الشابي.

وقد وردت العين متفرقة في كامل القصيدة في: (أترع، بأوجاع) وكلها وردت لتدل على الألم والتشتت والخراب والدمار لهذه الحياة، وكذلك كلمة: "العذاب" جاءت لتدلّ على الألم الدفين الممزوج بنوع من الشدة في التعبير.

عبر الشاعر عن هذه المشاعر التي اختلجت كيانه فعبّر عنها في قالب مادي وهي مشاعر تولدت من رحم الحرمان والمعاناة جراء الأحزان التي تراكمت على رأسه، ونظرا لعمق هذا الصوت جاء ليجسد معاناة الشاعر الدفينة.

7.2. الهاء:

تتكوّن الهاء العربية عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق الحركة، ويمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الصوتين بالحنجرة محدثاً صوتاً احتكاكياً، يرفع الحنك اللين، فلا يمر الهواء من الأنف ولا تتذبذب الأوتار الصوتية «عند نطق صوت "الهاء" يكون المزمار (على مستوى الحنجرة) مغلقاً تماماً تقريباً، سوى فتحة

صغيرة في الجزء الخلفي منه على مستوى النسيجان الخلفيان، وينتج عن هذه الفتحة الضيقة لدى الهواء المزفور منها احتكاك مسموع ومميز ولا يذبذب الوتران أثناء النطق بالهاء»⁷.

جعل اهتزازاتها الصوتية أكثر عرضة للتأثر المباشر يترجم الانفعالات التي تجيش في الصدر، من حدة وقساوة، أو حزن وأسى، أو تحكم وسخرية، أو رقة وشفافية، كما أنّ رقة المتناهية جعلته أكثر طواعية لإرادة الناطق به، فمنحت صوته المهتز قدرة فائقة على التكيف مع الحالات النفسية والمشاعر الإنسانية التي تعتمد في نفس صاحبها، ومع مختلف المعاني المعبر عنها.

يقول أبو القاسم الشابي من نفس الديوان:

لَيْسَ تَسْتَهْوِيهِ أَلْحَانُ السُّرُورِ

لَيْسَ تَسْتَهْوِيهِ أَلْحَانُ الطُّيُورِ

وَأَعَانِي النُّورُ

فإنّ كلمة "تستهويه" قد وردت في بيتين مختلفين وفي سياقين متقاربين، فكلاهما يدلان على عدم التنفس لأنه وردت قبلها "السين" فهي تنفي الراحة والسرور عن قلب الشاعر، فلا ألحان الطيور ولا السرور ولا شيء آخر يدخل الفرحة في حياة الشابي، فقبله ألف لحن الأسى والألم والحزن.

ويقول الشابي:

أُتْرِعُ الْكَأْسَ بِأَوْجَاعِ الْهُمُومِ

فإنّ "الهاء" جاءت لتدلّ على مشاعر الشاعر العميقة، فهو في حالة يأس وحزن وضياح، هذه المشاعر الحزينة والكئيبة لا بدّ أن تنقبض معها نفسه.

جاءت الهاء في الكلمات: "كرهت"، جاءت لتدلّ على سامة الوضع المعيشي الاجتماعي، والعاطفي والنفسي والسياسي الذي هو فيه الشاعر اليوم والحالة التي آل إليها، كما أنّ كلمة "أهواه" جاءت هنا الهاء لتدلّ على عمق هذه الكتابة لدرجة أنّه صار يهوى الظلام المكتئب، فهي مرتبطة بالمشاعر والأحاسيس المراد التعبير عنها.

8.2. الخاء:

ويدلّ في أكثر أحواله على الضعف والهبوط إذا كان في أوّل الكلمة، فيرتفع أقصى اللسان حال النطق بهذا الصوت، بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك، وبحيث يكون هناك فراغ ضيق ليسمح للهواء بالنفاذ مع حدوث احتكاك مسموع، ولا تذبذب الأوتار الصوتية حالة النطق به.

تختلف إيجاءات الصوت على حسب السياق الذي تقع فيه، ولم يكرر صوت الخاء في القصيدة إلى 05 مرات أي أنّ وجوده كان قليلاً، كما يجب مراعاة أو تحسس وتذوق كيفية النطق بالحروف وذلك حسب النفسية للشاعر، فكانت إيجاءاته الصوتية مزيجاً من الأحاسيس الشاعرية من رقة ورخاوة وضعف.

فنجده يقول من نفس الديوان:

غَنِّي نَدْبَ الْأَمَانِيِ الْخَائِبَةِ

خَبَّرَنِي مَا الَّذِي خَلَفَ الْغُيُومَ

فكلمة "الخائبة" و"خبرني" تدلّ على الضعف في المعنويات والحيرة من أمره، وفيما يحدث له وحوله من معاناة أهل وطنه فقراً وظلماً وقهراً اجتماعياً وسياسياً، فتبقى قصائده نغماً عذبا على شفاه الشعوب، ولكن هذا الصوت وتلك الصرخات لم تكتمل، فلقد اختطفه القدر مبكراً في ميعة الشباب، ولو أمد الله في عمره لجادت هذه القرينة بالكثير من المعاني والصور.

9.2. الغين:

هو النظير المجهور للحاء، فهو صوت من أقصى الحنك احتكاكي مجهور، فهو صوت من أدنى أي مما فوق ذلك مع أوّل الفم مجهور، رخو، منفتح مستعل مصمت تكرر سبعة عشرة مرة (17) في القصيدة. فقد وردت كلمة "غني" في القصيدة حوالي 05 مرات وهي صرخة لإشعار الغير بمرارة العيش وضيق الخاطر.

ونجده يقول من نفس الديوان:

فَقَضْتُ صَمْتاً أَنَا شَيْدَ الْغَرَامِ

فهنا جاءت كلمة "الغرام" لتدل على الحالة النفسيّة للشاعر وهي حالة شعورية تخصّ كل واحد منّا، فإنّ الجانب الوجداني هو جزء لا يتجزأ في النفس البشرية ولا يمكن إغفاله بالنسبة لحياة الإنسان، ويبرز لنا الشابي صراعه الدائم مع ما شقيت به حياته من آلام ويتمثل ذلك الألم في فقدانه فتاة أحلامه التي كانت حبّه الأول.

ثم يقول من نفس الديوان:

خَبَّرَنِي مَا الَّذِي خَلَفَ الْغُيُومَ

فإنّ كلمة "الغيوم" تدلّ على الإبهام والغموض، فجاءت تصوّر حالة الشاعر الداخلية فهي كالغيمة السوداء لأنّ حياته مليئة بالشقاء والألم، عامرة بالأحزان والأتراح.

يقول الشابي من نفس الديوان:

أَنَا فِي دَرْبِ الْحَيَاةِ الْغَامِضَةِ

تَائِهَةً، خَيْرَانْ

جاءت كلمة "الغامضة" لتدلّ على عالم النفس الداخلي فهو عالم مضمّر وخفيّ، والشاعر هنا في حالة من الحيرة والضياع والتمزق والغموض الذي يواكب حياته، مما ترك هذا الغموض في نفسه أسى عميقاً وجرحاً كبيراً.

ويمكن أن نقول أنّ الشابي لم يكن يتألم لذاته فقط وإنما لأجل شعبه كبيراً وصغيراً وجراح أمة بأسرها فاضت أنغامها من أوتار قلبه وخرجت آهاتها المرّة من أعماق نفسه إلى أن وصلت إلى شفثيه صرخات توجع القلب.

10.2. الهمزة:

صوت انفجاري حنجري مهموس، فنتيجة انغلاق الوترين انغلاقاً تاماً تسدّ الفتحة بينهما لتمنع الهواء من المرور، ثم ينفرجان فجأة فيحدث صوت "الهمزة" وهي حرف شديد يفيد الظهور والبروز لذا استعمل النداء عندما يقول الشابي من نفس الديوان:

أَيُّهَا الصَّدَاخُ !

وكذلك عندما استعملت الهمزة في ضمائر المتكلم فنجد الشاعر يقول من نفس الديوان:

أَنَا فِي دَرْبِ الْحَيَاةِ الْغَامِضَةِ

هَآ أَنَا أَسْمَعُ فِي قَلْبِ الْحَيَاةِ

هَآ أَنَا أَسْمَعُ أَصْوَاتِ السُّرُورِ

كَطَّتِ الْأَيَّامُ

وكل هذه الضمائر جاءت لتدلّ على البروز وللتشخيص. تعد الهمزة للدلالة على الجوفية، وعلى ما هو وعاء للمعنى، وعلى الصفة تصوير طبعاً.

وكذلك جاءت لتدلّ على التأكيد النابع من الشاعر نفسه حيث يقول في هذا السياق من نفس الديوان:

إِنَّ قَلْبِي مَلَأَ أَصْدَاءَ التَّوَاخِ

إِنَّ مَنْ أَصْعَى إِلَى صَوْتِ الْمُؤْنِ

3. خاتمة:

هكذا عدّ الصّوت في بعده الدلالي على ضوء نص الشاعر ذا أبعاد أراد من وراءها البوح عن ما يختلج في النفس فكانت الحروف بأنواعها تتوالد داخل النصّ وكأنّها ذلك البوح الذي أخفاه الشاعر من وراء اختيارات. 4. الهوامش:

¹ - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، ط3، القاهرة: 1985، ص 113.

² - صالح سليم الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د.ط، شارع سوتير الأزاربطة: د.ت ص151.

³ - أبو القاسم الشابي، الديوان، دار العودة، بيروت.

⁴ - عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، د.ط، عمان: 1998، ص 445.

⁵ - كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، القاهرة: د.ت، ص 205.

⁶ - الخليل بن أحمد الفراهيدي وابن السكيت والرازي، ثلاث كتب في الحروف، تح: رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة: 1995، ص 142.

⁷ - بسام بركة، علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، د.ط، لبنان: د.ت، ص 126.

قائمة المراجع:

- 1- أبو القاسم الشابي، الديوان، (بيروت: دار العودة)،.
- 2- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللّغوي، عالم الكتب، ط3، (القاهرة: 1985).
- 3- بسام بركة، علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية، د.ط، (لبنان: مركز الإنماء القومي، د.ت).
- 4- الخليل بن أحمد الفراهيدي وابن السكيت والرازي، ثلاث كتب في الحروف، تح: رمضان عبد التواب، ط2، (القاهرة: الناشر مكتبة الخانجي، 1995).
- 5- صالح سليم الفاخري، الدلالة الصوتيّة في اللّغة العربية، د.ط، (شارع سوتير الأزاربطة: مؤسسة الثقافة الجامعية، د.ت).
- 6- عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، د.ط، (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 1998).
- 7- كمال بشر، علم الأصوات، د.ط، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت).